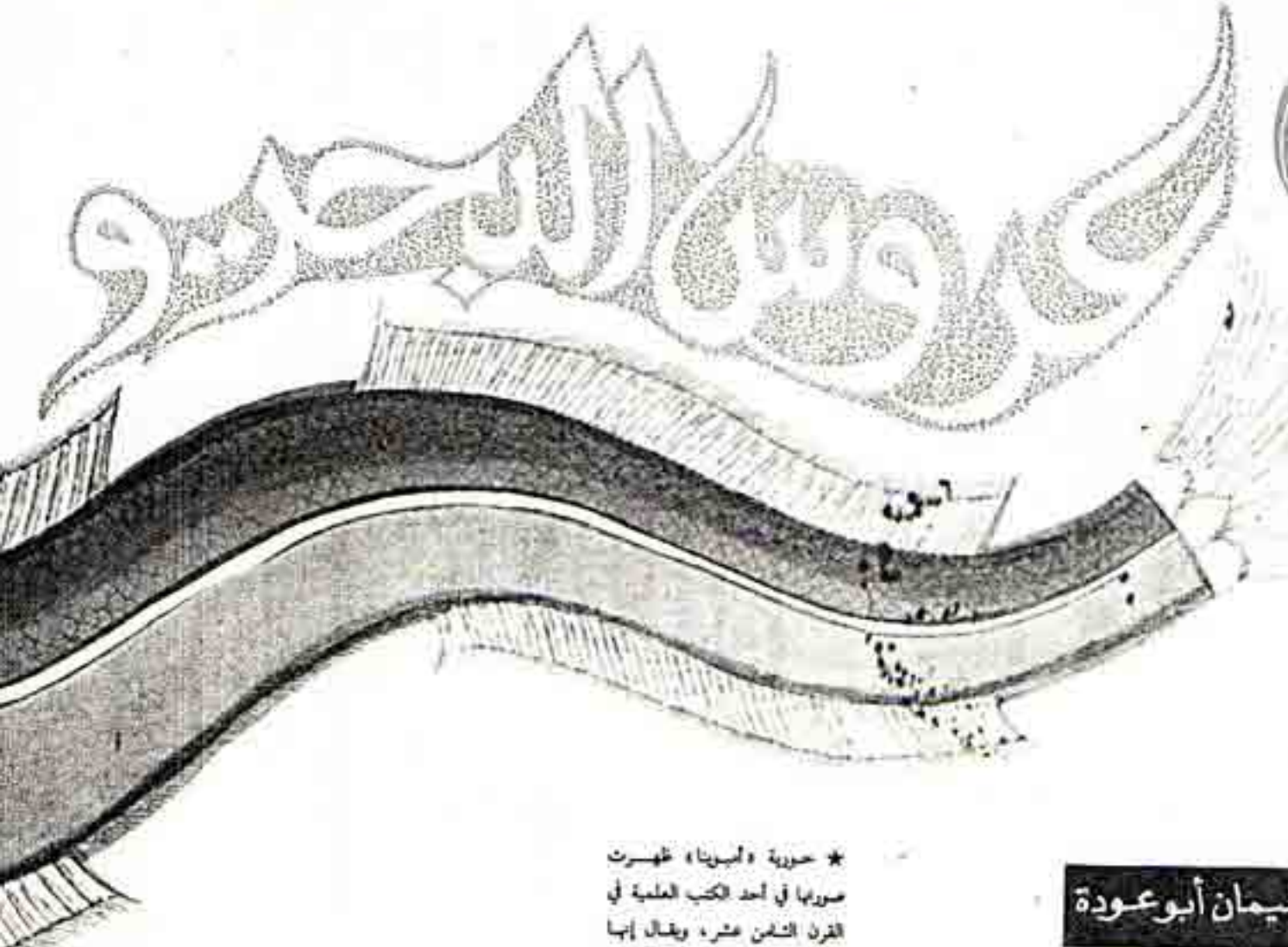
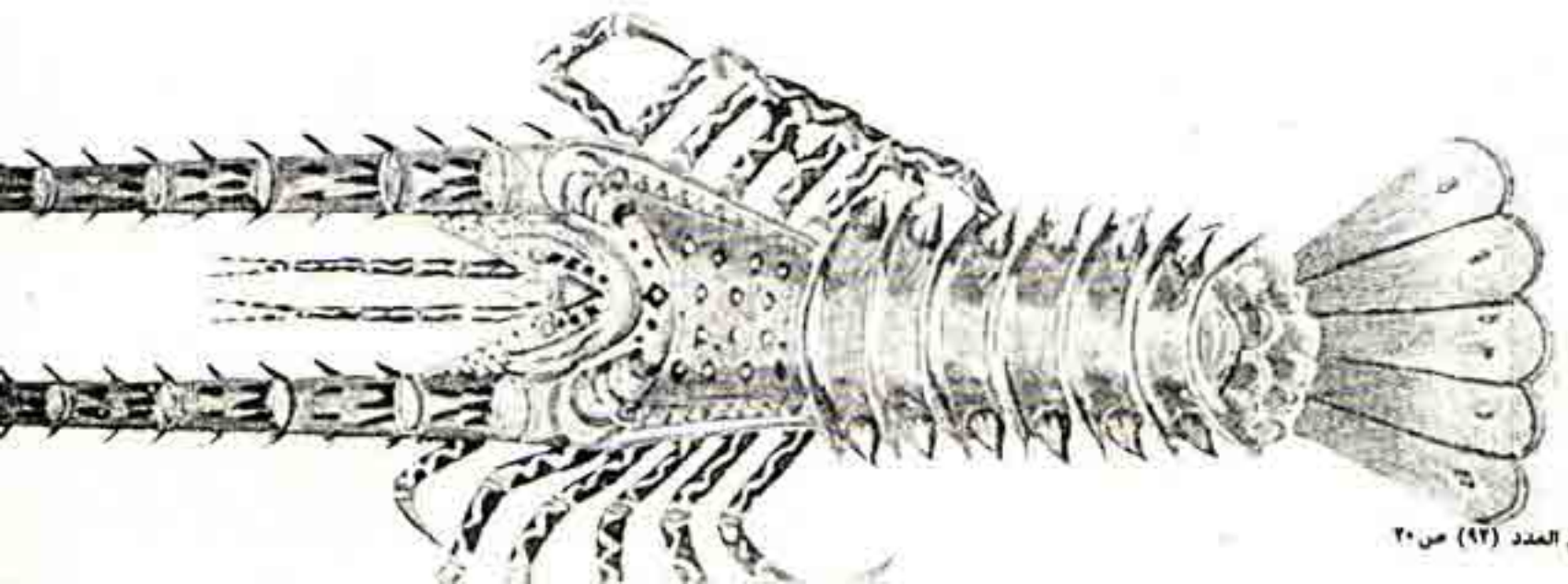


في تراثنا الشعبي قصص كثيرة عن عرائس البحر اللواتي يبهر حسنهن الأنظار ، ما زلنا نتناقلها ونعجب بها .. كثيرة هي أساطير المحيط الضبابية التي تروي قصص المخلوقات الغريبة ، مثل ثعابين البحر المسالمة أو الأخطبوط العملاق ذو الأذرع العديدة والوحوش البحرية الأخرى التي تغترس ضحاياها من البحارة .. ولكن هذه القصص ، بغض النظر عن صحتها وسواء بُنيت على حقائق أو على أساس شطحة خيال جامع ، وجدت أذناً صاغية والسنة تتناقلها . فإن فكرة وجود أناس يقطنون أعماق البحر ، بالإضافة إلى أولئك القاطنين على ظهر اليابسة ، ما زالت تملك مخيلة الناس حتى جعلت الكثيرين يعتقدون بصحة هذا الافتراض الخيالي .. وأصبحت أسطورة عروس البحر - وخصوصاً في الماضي القريب - حقيقة يتقبلها البعض كما يتقبل حقيقة وجود السمك الطائر .. أو السمك الذي يعيش على اليابسة ..



* حورية «أمونيا» ظهرت
صورتها في أحد الكتب العلمية في
القرن الثامن عشر ، ويقال إنها
عاشت لأكثر من أربعة أيام في
حوض مالي *

بقلم: هشام سليمان أبو عودة





— إن لم تخفي الذاكرة— التي مكث معها في
أعماق البحر بعد أن أعطته نسياناً ختاماً
ليستطيع التنفس تحت الماء .. وزار مملكة
الأعماق وعاد إلى البر مثقلاً بالدرر والجواهر
النفيسة وانزاحت غمة الفقر عنه ... وهناك
قصة «السندباد البحري» وهي في
مضمونها تشبه قصة عبد الله البحري ...
وكعادة السندباد في كل مغامرة من مغامراته
العديدة التي يخرج فيها ظافراً سالماً من كل أذى
مهما كانت الأهوال التي واجهها ، خرج في
مغامرته مع عروس البحر التي اصطادتها شبابه

أسطورة عرائس البحر قديمة جداً ومنتشرة
في جميع قارات العالم قديمها وحديثها ... ولا
يوجد مخلوق على ظهر الأرض من لم يسمع
بقصة من قصص عرائس البحر ، وخصوصاً
هؤلاء الذين يعيشون على شواطئ البحار
وضفاف الأنهار ، أو ممن يرتزقون من
خبراتها ...

وبلادنا العربية ما زالت تزخر بقصص
حوريات البحر وعرائسه ، ومن منا لم يقرأ ألف
ليلة وليلة وقصة عبد الله السبري ،
وعبد الله البحري الذي تزوج حورية بحر



أحلام السندباد

* رسل و أوديسوس ، نفسه
 يصاري سفينة ومد بجارته أذانيهم
 بالشع فتجرا من غناء السيرانات
 القاتل .. هذه اللوحة رسمها
 هربرت دوير نقلاً عن أوديسا
 هوميروس *



* لوحة معاصرة
 للرسم الأمريكي
 نورمان روكويل تصور
 صياداً اصطاد عروس
 بحر... وقد ظهرت
 كتلاف لإحدى
 المجلات *



من أحد أبناء البشر... كثيرة هي قصص
 الحوريات التي لا يتسع المجال لذكرها.. وكلها
 تدور في فلك واحد ولا تختلف إلا من حيث
 المكان والزمان...

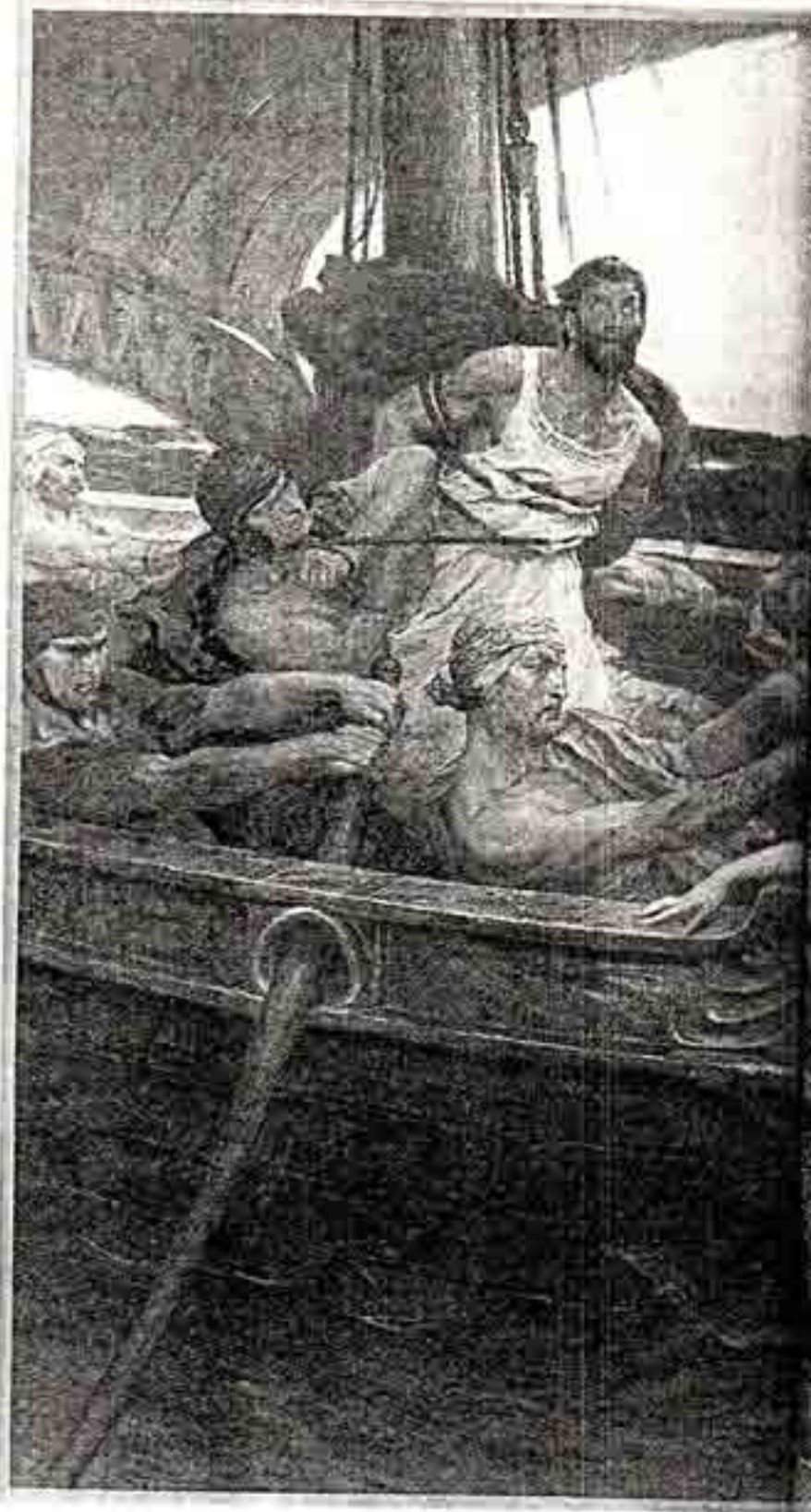
قصص البحر في الغرب

هذا موجز سريع للتجربة العربية
 في ميدان حوريات البحر... فهل
 لأبناء الغرب صولة في هذا الميدان
 أيضاً؟

البحر أطفالاً ولم نسمع من قصص عرسان
 البحر شيئاً... ولم يرد في قصص ألف ليلة
 وليلة أي ذكر لرجال نصفهم بشري والنصف
 الآخر نصف سمكة.. حتى أن عيد الله
 البحري لم يحدثنا عن رؤيته لرجال في مملكة
 الأعمى عندما قذف به حسن الطالع إليها...
 ويقال - والرواية على ذمة أحد الإخوة من
 سورية الشقيقة - إن الناس في دمشق
 يتناقلون قصة الحورية التي تظهر بين حين وآخر
 في نهر بردى بجبالها الفاتن ويقال إنها متروجة

بكنوز لم تعهد البلاد والأمصار مثيلاً لها...
 ومنذ عدة سنوات قليلة قرأت في إحدى
 الصحف العربية عن بضعة صيادين ممن
 يرتزقون في البحر الأحمر، أنهم شاهدوا عروس
 بحر ترضع طفلها الصغير، وعندما رأتهم
 أشارت لهم بيدها ثم غاصت في الأعماق...
 وامتلاً قاربهم بخيرات البحر في ذلك اليوم...
 ويبدو أن عروس البحر الأحمر تلك قد رقت
 قلبها البشري لحالم فأرسلت أسراب السمك
 باتجاه قاربهم... ولكن كيف تُسجب عرائس

★ لوحة للرسم أوتس
واكهام تقطع من مقاطع
مريحة تشكيب وحلم
للسة صيف ★



ولا تخلو جملة الإغريق القدماء من
تسميات أخرى لحوريات البحر فهناك
«الشاريدة» Nereid وتقول الأسطورة
الإغريقية إن الشاريدة هي واحدة من بنات إله
البحر المزعوم «نيروس» Nereus .. وهي في
وصفها كحوريات البحر الأخريات ...
أما الاسكتلنديون فلديهم «الكالبية»
Kelpies وهي جان بحري تزعم أساطيرهم أنها

العناية بأمر قواربهم فترتطم بالصخور ... وهنا
نرى لأول مرة أن هناك حوريات بحر على شكل
طيور بحرية ... كما نرى حوريات بحر يستتر
الردى في عذوبة أصواتهن ...

ومن الأسماء الغريبة الأخرى اسم
«الشكسية» Nixie .. وقد جاءت هذه
التسمية من الأساطير الجرمانية ...
والنكسية هذه عبارة عن روح مائية تتخذ صورة
امرأة حينا أو صورة رجل حينا آخر أو رجل
بصفتهم سمكة ...

والجواب نعم .. فقصص عرائس البحر
عندهم أكثر مما هي عندنا ... وتعود
أساطيرهم في هذا المضمار إلى أزمنة غابرة ..
أما الأسماء التي أطلقوها على عرائس
البحر فهي كثيرة ومنها «السيرانة»
Siren وهي واحدة من مجموعة كائنات أسطورية
عند قدماء الإغريق لمن رؤوس نسوة
وأجساد طيور بحرية كن يسحرن الملاحين
بغنائهن فيسودهم ذلك موارد التهلكة ، إذ
يتناسون تحت تأثير الأصوات الساحرة -

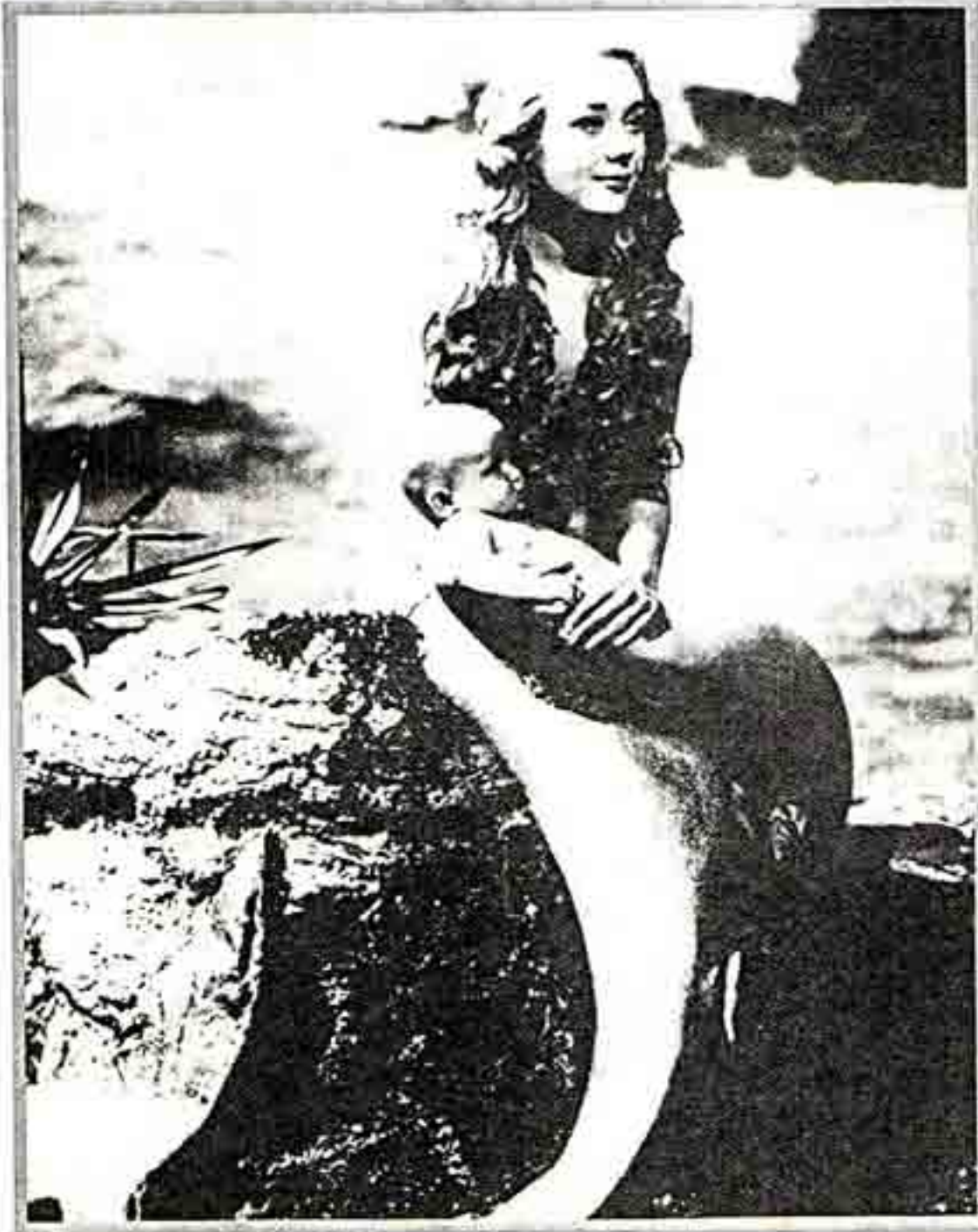
الأعناق ، بينما قصص أخرى تحبرك عنهن كوحوش بحرية ذوات زعانف وذيل طويل .. أو ذوات شعر أصفر كالذهب .. وأخرى ذوات جدائل سمكية ذات لون أخضر أو أزرق تضاهي في لونها لون أنيابها الحادة .. وكما هو الحال في كل الشخصيات الفلكلورية .. فإن كل مجموعة من ساكنات البحر لمن عادات وتقاليد وسمات يتميز بها ..

إن هذه القاتنة النصف امرأة والنصف سمكة التي كثيراً ما صورتها الأساطير ممسكة بمرآتها في يد وبالمشط في اليد الأخرى ، أعطت مجالاً فسيحاً للتنوع الفني ، ولكن معظمتنا يصر على أن يقتصر على نوع واحد من الوصف لحورية البحر ، ألا وهو أن نصفها العلوي

نصف أنثى أما النصف الآخر فهو نصف السمكة المغطى بقشور صدفية لامعة متلألئة منتبهاً بزعنفة الذيل .. ولكن الأمر لا يخلو من المفارقة أيضاً ، فبعض القصص تصفهن بأن هن ذبلاً مثل ذيل سمك الماكربيل المرقط وزعانف تشبه زعانف الدلفين .. بينما قصص أخرى تصف نصفهن السفلي بأنه مثل ثعبان البحر أو كذيل سمك المنكليس في طوله وقوته .. وتصر قصص أخرى على أنهن يرتدين ملابس تشبه في ألوانها ولونها تلك المألوفة لدى نساء اليابسة .

ولكن ، القصص كلها تتفق على أن انسيابية أجسادهن مصممة للإغراء في مياه البحار والمحيطات لجذب البحارة - بمن أتعهم

* صورة من فيلم «ميرالد» البريطاني ظهر عام 1918م يحكي قصة عروس بحر تزوجت من طيب إنجليزي شاب :



تفرق الملاحين أو أنها تبتلع بفرقهم ... وكعادة الإغريق القدماء ، فإن لهم آلهة من كل نوع وشكل وقد تجرد من هذه الآلهة المزعومة العديد ممن يتقلدون نفس المنصب أو يتدرجون في المرتبة الاجتماعية حسب أهميتهم في الأساطير القديمة .. ولم نشذ حورية البحر عندهم عن هذه القاعدة . ومن أسماء التاليف التي أطلقوها على حوريات البحر أيضاً اسم « المرغن » Morgan و Silkie وهناك « الحورية » Nymph وهذه الأخيرة هي إلهة ثانوية من آلهات الطبيعة التي كانت الميثولوجيا القديمة تمثلهن على صورة عذارى فئات يقمن في الجبال والروج والغابات وأيضاً في المياه .. وهذه الأخيرة هي التي ينطبق عليها وصف عرائس البحر ... ولم ينس الإغريق أن يتدعوا « عريساً » للبحر في صورة رجل نصفه نصف بشر والنصف الآخر نصف سمكة ، وقد أطلقوا عليه اسم « تریتون » Triton ، لكنهم لم يمنحوه ألوهية كاملة فهو في نظرهم نصف إله ...

أما اللاتين فقد أطلقوا على عرائس البحر اسم « ميرميد » Mer-maid ، وما زال هذا الاسم مستخدماً في اللغة الإنجليزية إلى يومنا هذا .

قصص غريبة

أما القصص عن عرائس البحر فحدث عنها ولا حرج ، فهي أكثر تعدداً من الأسماء .. منها ما يجبرك عن الجميلة الطيبة القلب التي أرادت فقط أن تأخذ حبيبها البشري إلى متعة

أو أسعدهم حظهم لا تسدي - ثم المررب
السررع . . . وعرائس البحر - كما تسترمل
الفحص في ذلك - لا روح لمن كتلك المياه التي
برنمن في ربوعها . . . والوسيلة الوحيدة التي
تستطيع حورية البحر أن تكتسب بها روحاً هي
أن تتزوج من غريق بشري مات في البحر . . .
وهناك كثير من القصص عن حوريات تزوجن
من أشخاص عاديين .

وغالباً ما قيل إن صوت الحورية ساحر مثل
جلدها . . . وقيل إن الجهادية التي تتميز بها
أغاني « السيرانات » كثيراً ما اجتذبت السفن
والبحارة إلى الصخور وأرسلت بالملاحين إلى
مملكة الأعماق . . . وكل الفكرة حول عرائس
البحر تلخص في سحب الرجال إلى الأعماق

* حورية فيجي Foojoo . . . قيل إنها اختلج عندما عرفت في لندن في القرن التاسع عشر *



وهي محور معظم أساطير الميثولوجيا القديمة . .
التي بقيت رواسبها إلى الآن . . وقد انعكس
هذا على شعر أحد شعراء القرن العشرين
« ويليام بتلر ييتس » W.B. yeats الذي
أخذ نظرة لبرالية إلى الموضوع وجعل من فنانة
البحر هذه امرأة قليلة التفكير أكثر منها
شريرة . . لكنه ابتكر عروس بحر معاصرة لها
مشاعر آدمية . . . يقول ييتس :

وجدت حسناء البحر غلاماً
يسبح فوق الماء أخذته إليها . .
عصرته وضمته . . وفاضت منها
الأشواق . .
ضحكت جذلاً . . غاطسة للأعماق

ونست في غمرة فرحتها الشريرة . .
أنه حتى العشاق يفرقون . .

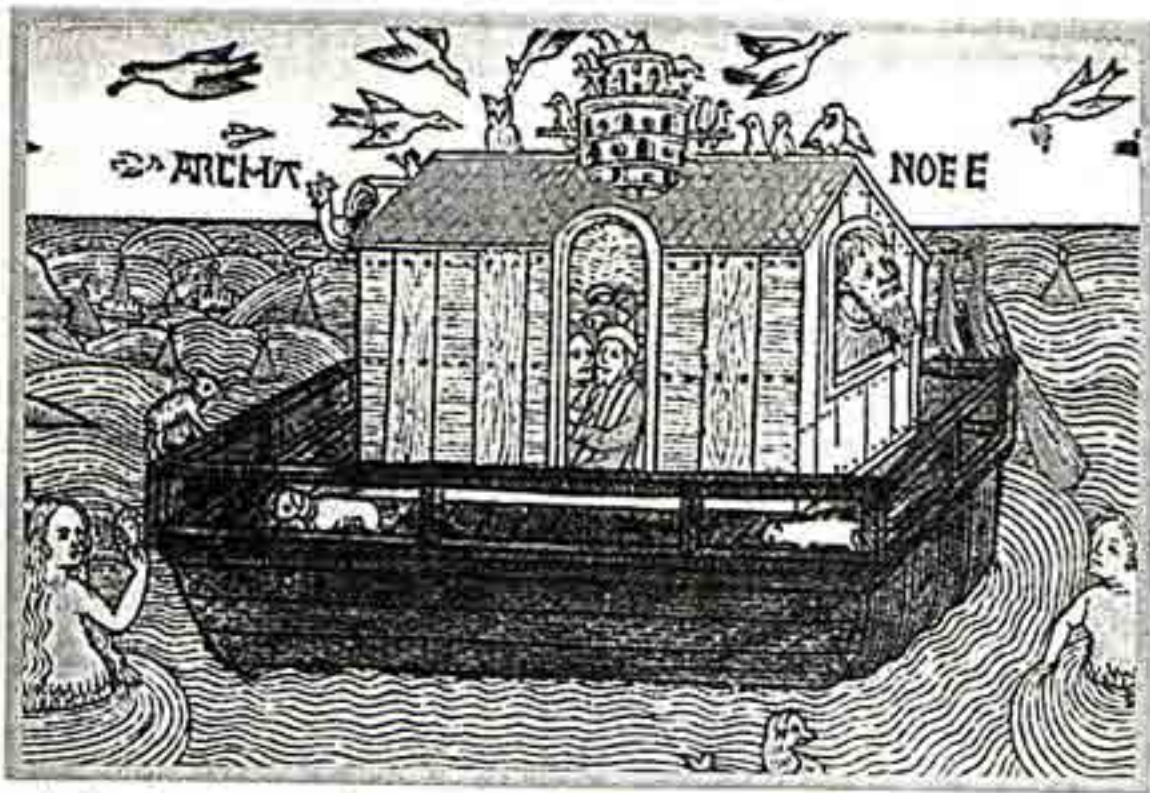
هذا التوصل المعاصر شهلة وتفكير الحورية
هو توصل حديث نسبياً ، فلم يكن دائماً هدف
الحوريات البحث عن أزواج ، إذ إن حوريات
« الأوديسا » كن قاسيات بغير شفقة لا هم
لمن إلا اقتياد البحارة إلى مشاهم الأخير ، وقد
صورهن هوميروس بهذه الصورة في ملحمة
الإلياذة والأوديسا .

الحور أول حورية

كثيراً ما تختلط الأسطورة بالحكاية الشعبية
وتعتبر رغم ما يضاف إليها إضافات منطقية
تتمشى مع الحدث . . . ورغم أن الحكاية تنتقل
من جيل إلى جيل إلا أنه من المستحيل أن
تتعقب أصل الحكاية ومصدرها . . وهذا يفودنا
إلى سؤال قد لا نعرف جواباً حاسماً له . . وهو
متى ظهرت أول حورية ؟ . . ربما كانت
أول حورية هي « أوانس » Oannes . . .
ومن الغريب أن أوانس تلك هي رجل وليس
امرأة . . فهو أحد آلهة البابليين . . والكتابات
الأولى عنه تصفه بأنه كريمة طيب له شكل
إنسان وليس طاقية تشبه رأس السمكة ويرتدي
رداءة على شكل جلد السمك . .

أما الإلهة الأثنية المرادفة لأوانس فهي إلهة
القمر وتدعى « أتسارغاتيس » Atargatis
ونعرف أيضاً باسم « ديرسيتو » وقد عبدها
سكان منطقة الشام القدماء ، وكانت ديرسيتو
هذه على شكل سمكة . وقد وصفها الكاتب
الإشريقي لوسيان عندما شاهد صورها في
التقوش الفينيقية القديمة في القرن الثاني قبل
الميلاد قائلاً : « من نصفها العلوي فهي
امرأة . . ولكن ابتداء من الأرداف حتى
الأطراف السفلية فهي عبارة عن سمكة لها ذيل
طويل » . . . ووصفتها إلهة القمر فقد كان يعزى
لها الليل وأطوار القمر المختلفة ، كما اكتسبت
هالة من الخيلاء والإغراء والغرور والجمال ،
بالإضافة إلى القسوة والحب الذي لا يظال . . .





★ صورة مأخوذة من أحد الكتب عام 1118 م، تظهر بعض حوريات البحر وقد أحسن بإحدى السفن ★

حوريات البحر فيطلق عليهن اسم
التيرادات .. إنها روايات غير طيبة تلك التي
تلتصق بهن .. انظر كيف يتخيلهن الرسامون
في لوحاتهم والقشور تغطي أجسادهن .. ومع
ذلك فلأهن يشبهن النساء ..

إن عرائس البحر اللواتي شاع ذكرهن قبل
ظهور المسيحية أصبحن رمزاً للكنيسة بعد
ظهورها ... فقد ظهرت رسومهن على أعمدة
الكنائس وعلى منصات الداخلية المنقوشة .. كما
انحدت الحوريات رمزاً جديداً يرمز إلى اغتصاب
الروح المسيحية ، حتى أن قصة أوديسوس قد
تحولت إلى قصة رمزية شعبية .

أما «كليمنت الإسكندراني» Cle-
ment of Alexandria في مؤلفه «نصائح إلى
الوثني» Exhortation to the Heathen فقد
تمكن من تجميع كل هذه الأمور بشكل درامي
قائلاً : «لا تدع المرأة ذات الذيل المتبدل تخدع
حواسك .. أطلق شراعك للريح مبتعداً عن
سقوطها .. إنها عاصمة الموت .. دع إرادتك
تتغلب على عواطفك .. وهكذا تتغلب على
الملاك ..»

وقد احتفظت الكنيسة في العصور الوسطى
باسطورة الحوريات حية إلى حين قيام رحلة
الاستكشاف التي أشعل شرارتها الرأي العام
الذي صب اهتمامه على «الأرض الجديدة»

السيرانات بالبحر الذي يعشن فيه أكثر وأكثر ،
فبدلاً من وصفهن كطيور بحرية ، اكتسبن
أوصافاً جعلتهن أكثر قرباً من الأسماك ، وهكذا
أصبحت أسماء سيرانة وحورية وعروس
البحر كلمة واحدة .. ولكن قبل
وصولهن إلى هذه المرحلة ، فإن
القصة ووصفتن بأوصاف وسيطة عبر
القرون ، إذ مررن على مرحلة كن فيها
مجنحات ذوات ريش وزعانف في نفس الوقت ،
ولكنهن خلال فترة التحول هذه احتفظن
بسمتهن المشهورة بالغناء القتال والصوت
العذب الذي لا يقاوم فيأخذ بيد البحار شاه أو
لم يشأ إلى مرافق الموت عند صخور لا ترحم .

للإيطاليين والمكتشفون

وبينا كانت السيرانة من بنات أفكار
الأسطورة ومخطوطات القدماء ، فإن شقيقتها
الحورية كانت على حسب اعتقادهم حقيقة
شاهدها علماء البحر وكتب عنها المؤرخون
ورصدوا المستكشفون ...

وكان «بلييني» الكبير أول مؤرخ
يكتب عنها في كتاباته بكثير من التفصيل ..
ففي مؤلفه الضخم «التاريخ الطبيعي» الذي
ظهر في القرن الأول بعد الميلاد يقول : «أما

ومن الجدير بالذكر أن معظم حوريات الأساطير
الباقية إلى اليوم يمكن هذه الصفات ...
وتعتبر ديرسيتو سلفاً لإلهة «الجمال»
«أفروديت» التي خلفتها في وظيفتها تلك ..
والتي يقال إنها ظهرت من رغوة بحارة
بحرية ... والصورة التي بقيت لأجيال اليوم من
صور ديرسيتو صورتها تلك شعرها الطويل وهي
مكة بمراتها ... وتلك هي رابطنها الوحيدة
بحوريات البحر المعاصرات .

وهناك مجموعة أخرى من الشخصيات
الأسطورية الإغريقية وهي طائفة
«السيرانات» ، إذ إن إناة فخارياً من القرن
الحامس قبل الميلاد أظهر السيرانات على شكل
طيور لمن أجنحة ومخالب ورؤوس بشر ... وكما
ذكرنا سابقاً تتميز السيرانات بأصوات عذبة
ساحرة تجذب البحارة والسفن ليرتطموا
بالصخور .. وتقول الميثولوجيا القديمة إن
«أورفيوس» Orpheus و «أوديسوس»
Odysseus سماعاً غناء السيرانات ولكنها تمكنا
من الهرب . وتقول الأسطورة إن الشاعر
أورفيوس قد تغلب عليهن في العزف على
قيثارته .. أما أوديسوس فقد تيبه إلى خطورة
أنغامهن فانطلق برمشة عين إلى صاري قناره
وربط نفسه به بينما سد بقية بحارته آذانهم
سدادات من الشمع .. أما هو فقد نسي أن
يضع الشمع في أذنيه فطرب وانثنى بالغناء
الساحر إلا أنه لم يستطع التخلص من قبوده
فتجا إذ جدف البحارة إلى بر الأمان ..

بعد ذلك أصبحت العملية مرحلة انتقالية
لرواية القصص ، وتحورت الحكاية لتصبح



* حورية البحر كما تخيلها الفنان جون ويليام واترمانس *
 الاستكشاف البحرية في القرن الخامس عشر
 الميلادي التي قام بها المغامرون الأوروبيون ...
 ونصل إلى كريستوف كولومبس ، فقد
 جاء ذكر عرائس البحر في الجريدة التي أصدرها

والمخلوقات الغريبة ... وكما هو حالنا اليوم في
 زعم الكثيرين أنهم شاهدوا طائفة جئاتنا
 من عوالم أخرى ، زعم الكثيرون أنذاك أنهم
 رأوا تلك الحوريات وتصوراً في فترة

بمناسبة رحلته عام ١٤٩٢م ، إذ كتب عن أحد
 بحارته قائلاً : « لقد رأى ثلاث حوريات ارتفعن





كالتى يطلقها الفأر من حين لآخر ... ولم تاكل ما قدمناه لها من الطعام المكون من الاسماك والمخار والجمبري ...

هذه المخلوقة التسعة حبيسة الحوض لم يكن يبدو عليها أنها تشبه تلك الفتاة التي وصفها شكسبير في «حلم ليلة صيف» حيث يقول «أوبيرون» Oberon أحد أبطال المسرحية :

سمعت حورية البحر على ظهر الدلفين .. تنضوه بمثل هذا «النفس العذب» المتناغم ..

حتى أن البحر القاسي همد على صدق أغنياتها وانطلقت نجوم معينة من مكائبا يجنون لتستمع إلى شذى عروس البحر ..

رأي العلماء

هذه الاختلافات في القصص وغيرها أطلقت شرارة الشك في قلوب العامة في يواكير القرن الثامن عشر. وبدأ العلماء في تقيم موقفهم من هذه القصص ... ومنهم «إيريك بوتنويدان» الذي نوى الشكوك حول وجود عرائس البحر في مؤلفه «العلم السطحي للفتوح» وتلعر من هؤلاء الذين خلطوا الحقيقة بالخيال وقال : «لقد أعطوا لعروس البحر صوتاً عذباً ووصفوها بأنها مغنية بارعة .. إن المرء لا يحتاج إلى كثير من التكبير لينبذ مثل هذه الحقاية ، أو على الأقل ليشك في تلك المخلوقات الوهمية» .. ومع ذلك فإن بوتنويدان تبع هذه العبارة بصفحات كثيرة من المعلومات عن عرائس البحر الحقيقية في نظره وعن قصص مشاهدتها ، فخلط بدوره الحقيقة بالخيال .

وفي لندن في العصر الفيكتوري أصبحت عرائس البحر شغل الناس الشاغل ، وتسايق أصحاب الملاهي في جلب «عينات محفوفة» من حوريات البحر ، وقد جاء كل منهم بقصة متفردة عن إساكه بحورية بحر وهي في العادة ممكئة من أسماك القرود كانوا يشترونها من الصيادين اليابانيين .

ومن هذه الحكايات الأكثر انتشاراً حكاية «حورية فيجي» Feejee Mermaid .. وقد تم عرض هذه الحورية المزعومة في أحد مقاهي لندن ثم أحضرها بارنوم P.T. Barnum إلى نيويورك عام 1842م ، ليعرضها في السيرك الذي يمتلكه ثم عرضها في متحف بارنوم حتى أن زوار المتحف ازدادوا بمعدل ثلاث مرات عن المعتاد حسب ما قاتته «بياترس فيليبوس» في كتابها المسمى «عرائس البحر» .

لا يوجد قطر من أقطار العالم ولا شعب من شعوبه إلا وله من عروس البحر نصيباً من التصور والتخيل ... كثيرة هي القصص التي نسمعها بهذا الشأن أينما ذهبنا .. هناك احتمالات عدة تم أخذها في الاعتبار قد تكون السبب في نشأة أسطورة الحوريات . قد يكون الناس قد شاهدوا بقرة بحر من فصيلة «الخيلايات» Sirenia وهذه الفصيلة تشمل «خروف البحر» Manatee (وهو حيوان ثديي يأكل الأعشاب البحرية) وتشمل كذلك «الأطوم» Dugong وهو من الحيوانات الثديية البحرية التي تشبه السمك .. وأنواع أخرى عديدة مثل الفقمعة ... ورغم أن هذه الأنواع ليس لها هذا الجمال المفرط ولا ذلك الصوت الساحر الذي يقتن البحارة ويدغدغ حواسهم ، إلا أن لها صفات شبيهة بتلك التي تعزى إلى تلك العروس الأسطورية فهي كلها تقريباً لا شعر يغطي جسدها ، فقرة البحر على سبيل المثال أكبر حجماً من المرأة ولكن صدرها الذي يبرز بالقرب من أطرافها الأمامية فهو في وضع شبيه بمثله لدى نساء البشر .. وبقرة البحر ليس لها إلا اثنين من الأطراف الأمامية .. أما الأطوم فهو يشبه بقرة البحر ولكن له عظم مغلف بشعرات إبرية ويقال إنه يرضع صغاره من أثنائه في النصف العلوي من جسده الذي يبرز غالباً فوق الماء وكأنه واقف فيه ممكاً بصغيره بزعنف واحدة فقط في وضع يشبه إرضاع الأم البشرية لوليدها ... ربما كان لهذه الحيوانات البحرية نصيب في ترويح أسطورة حورية البحر ولتلك القصص عن مشاهدة

عالياً عن سطح الماء لكنهن لم يكن بمستوى الجمال الذي نراه في صور الفنانين رغم وجوههن البشرية .

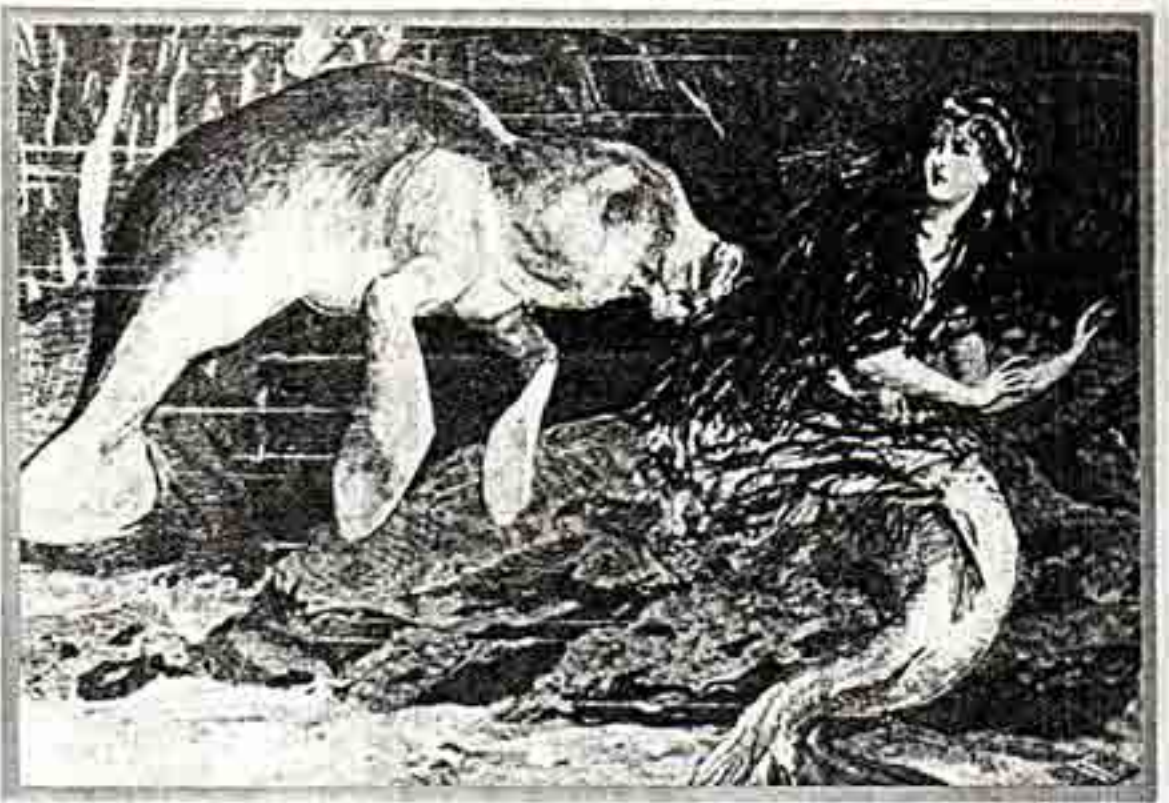
وبالرغم من ذلك اختلف المؤرخون وعلماء التاريخ الطبيعي وقباطنة السفن القدماء في وصف حوريات البحر التي قالوا إنهم شاهدوهن ... وخاصة أن هؤلاء مثلوا مصدر الإلهام الأول للفنانين الذين استقوا وصف الحوريات من كتاباتهم .. فصار على سبيل المثال - تلك الحورية الفتاة «الروح العذبة» Dulcet Breath التي كتب عنها شكسبير في مسرحيته «حلم ليلة صيف» - Midsom- mer Night's Dream بتلك الحورية المسماة «حورية أمبوتيا» التي ظهرت رسوماتها في كتب التاريخ الطبيعي في أوائل القرن الثامن عشر ، فبالرغم من أن تلك الأخيرة ظهرت بألوان زاهية إلا أن وصف «الرحنية» يقي ملتصقاً بها ، إذ نراها في اللوحة التي رسمها «صامويل فالور» والتي نشرت عام 1717م ، ذات جلد نحاسي مشوب بالخضرة لها زعانف عديدة حول وسطها تشبه رداء راقصي (الهولا) الذي يرتديه راقصو جزر هاواي من أوراق الشجر .. أما ذيلها بخطوطه الطويلة فإنه ينتهي بزعنفه أنيقة .. ولكن هذا الرسم الساذج لا يعكس ذلك التعليق المكتوب على الصورة : «وحش يشبه السرانة أمكنا به بالقرب من جزيرة بورني .. يبلغ طوله 59 بوصة ويشبه سمك الحنكليس .. عاشت هذه السرانة على اليابسة لمدة أربعة أيام وسبع ساعات في حوض مليء بالماء .. وكانت تنطق بوضع صرخات

جداً يتهدد تحت الماء غريق
أنا بصدعة .. وقال بصوت أجش ..
يا رفاق السفينة .. يا رفاق الطعام
والغربة ..
لا تبكوا من أجلي ..
فأنا متزوج من حورية ترقد في أعماق
البحر ..
ذلك البحر الأزرق ..

إن سحر السيرانات القديم ما زال مستمراً
إلى اليوم ممثلاً في تلك القطع الفنية التي يزرع
بها تراث الشعوب التي تغطي السواحل .. كما
أنهم يعشن كوشم زاهي الألوان على أذرع
البحارة ... وعروس البحر ما زالت تجلم على
صدر كل إنسان .. فن من البشر لا يحلم بالثراء
السرير تقدمه له حورية تنبع أوصافها من أعماق
نفسه .. ومن منا لم يحسد السندباد قاتلاً انظر
لهذا المحفوظ رغم أنه يعرف في قرارة نفسه أن
السندباد أسطورة أخرى تضاف إلى أسطورة
الحوريات ...

المراجع

- (1) Mermaids by Beatrice Philpotts, Ballantine Books, 1980.
(2) Sea Enchanters, by Gwen Benwell, Citadel Press, 1965.
(3) Mermaids and Mastodons by R. Carrington, 1957.
(4) A Field Guide to the Little people by Nancy Arrowsmith, Hill and Wang 1977.



* لوحة من القرن التاسع عشر لاطوم حقيق وعروس بحر خيالية *

حيوان «الغظ» Wartus ... إن اضطراب
الهواء وانكسار الضوء لعباً دوراً هاماً هنا ،
فكثيراً ما تؤثر الأحوال الجوية على حواسنا
وتقديرنا للأمور .

ويبقى سؤال أخير .. لماذا تستمر
هذه القصص إلى الآن .. ولماذا عاشت
أسطورة الحوريات إلى يومنا هذا رغم
أنها من نسج خيال جامح ووهم
مفرط ... ؟ ..

إن أساطير عرائس البحر وحورياته عاشت
ليس لأننا نصدقها ولكن لأننا وجدنا أنها صورة
مؤثرة .. ربما لأنها تمثل حاجة الفضول
السيكولوجي لرجل أو لامرأة في البحر ...
وهي كنوع من تحقيق الأمنية ... وخاصة أن
البحارة القداماء كانوا يقضون الأشهر والسنوات
هائمين على وجوههم في بحار الظلمات لا يرون
أشياءها إلا دائرة الماء السلامتاهية ومرافق
سرابية ... وأكثر ما يدل على ذلك ، ذلك
المقطع الأخير من أغنية إنجليزية فلكلورية بعنوان
«متزوج من حورية بحر» :

أنزلنا قاربنا للبحث عليه ...
ما أفسى أن نعتقد بموت صديق
وسحبناه إلى سطح القارب .

الحورية في البحار الاستوائية ، تلك التي تفضل
الإقامة فيها أبقار البحر وحيوانات الأطوم .

وهذا يوصلنا إلى الأعداد الكبيرة من
القصص الناتجة عن الخداع البصري للمياه
الحارة والباردة .. التي قد يفسرها نوع واحد
من أنواع «عجول البحر» التي تبلغ ٣٤
نوعاً .. فجم عجل البحر أنساباً وله
زعنفتان أماميتان ونظرة رقيقة وادعة ذات جاذبية
وتغف في أوضاع كالتي يقال إن عرائس البحر
يقفنها .

هل نعتقدون أن الأسطورة قد ماتت ؟ ...
بالطبع لا .. لما تزال التقارير تأتي عن مشاهدة
الحوريات في أصقاع الأرض البعيدة .. ولكن
حورية البحر - في المقام الأول - ما زالت تعيش
في «مملكة الفلكلور» وفي «علم
الكريبتوزولوجي» وهو العلم الذي يختص
بدراسة الحيوانات الغامضة ذات الوجود
المشكوك فيه .. أو تلك الحيوانات التي ترقد
على حافة المصدق الغير مصدق .

وفي عام ١٩٧٥ م ، ظهر مقال علمي في
مجلة «الطبيعة» Nature يصف كيف أن
اضطراب الهواء أوصل إلى ظهور أسطورة
«عمرسان البحر» Mermen .. وهؤلاء
العمرسان المزعومين لم يكونوا سوى مجموعة من